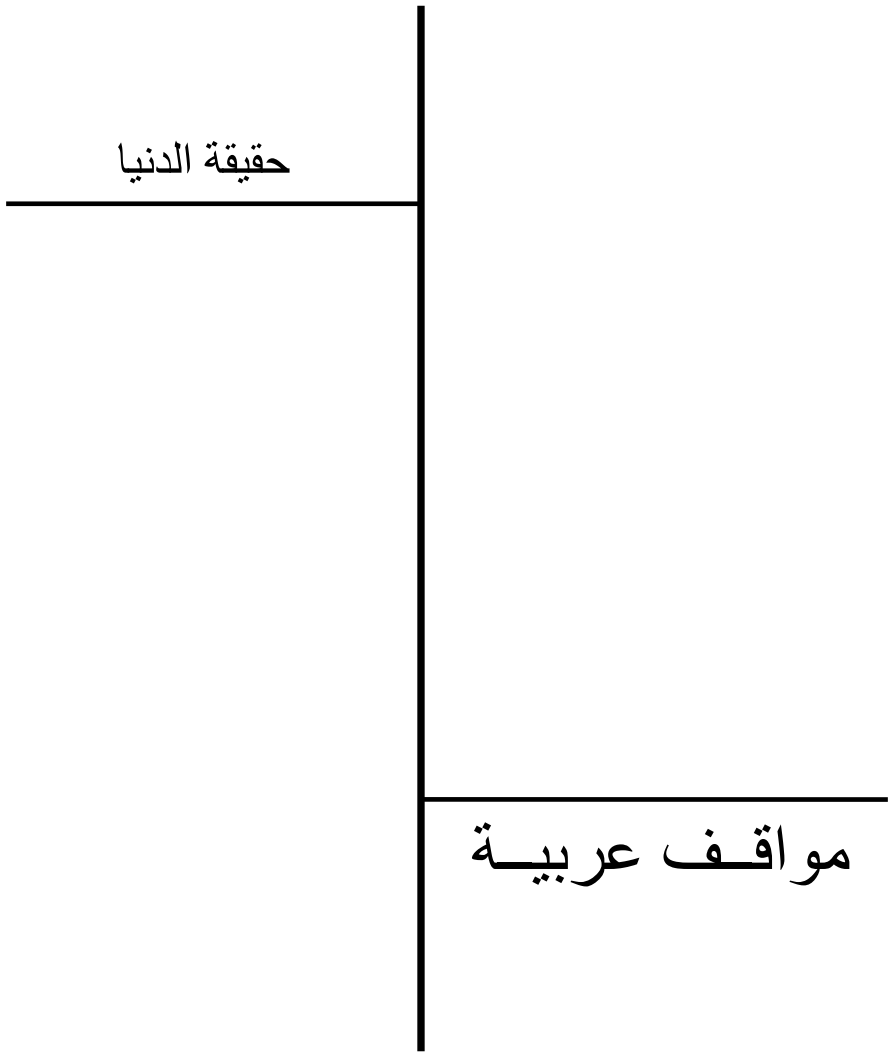
حقيقة الدنيا
مواقــف عربيــة

حقيقة الدنيا

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور:

جاء في"مختصر منهاج القاصدين-ما مختصره:

الآيات الواردة في القرآن العزيز بعيب الدنيا، والتزهيد فيها، وضرب الأمثال لها كثيرة، كقوله تعالى:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ } [آل عمران: ١٤ - ١٥]، وقوله:{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥]، وقوله:{ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ } [يونس: ٢٤]، وقوله:{ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ } [الحديد: ٢٠]، وقوله:{ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ } [الزخرف: ٣٥]، وقوله:{ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ } [النجم: ٢٩ - ٣٠].

وأما الأحاديث، ففي"الصحيحين-من رواية المسور بن شداد، قال: قال رسول الله ﷺ :"**ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع؟**.

وفي حديث آخر:"الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر-رواه مسلم.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا كتابًا طويلاً فيه: أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام، فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها، كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار الغِرارة الخيالة الخداعة، وكن أسرَّ ما تكون فيها، احذر ما تكون لها، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خيرًا، ولم يضرب لها مثلاً لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن.

ولقد عرضت على نبينا محمد ﷺ مفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه عند الله

جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، زواها الله عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرمَ بها؟ ونسي ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد على بطنه الحجر، واللَّه ما أحد من الناس بسط له في الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مكر به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه، وما أمسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه.

وقال مالك بن دينار: اتقوا السحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا.

ومن أمثلة الدنيا: قال يونس بن عبيد: شبهت الدنيا كرجل نائم، فرأى في منامه ما يكرهه وما يحب، فبينما هو كذلك انتبه.

ومثل هذا قولهم: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

والمعنى أنهم ينتبهون بالموت وليس في أيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به.

قيل: إن عيسى عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء[1] عليها من كل زينة. فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلتُ، فقال عيسى عليه السلام: بؤسًا لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف تهلكينهم واحدًا بعد واحد، ولا يكونون منك على حذر.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء[2] زرقاء أنيابها بادية، مشوه خلقها، فتشرف على الخلق، فيقال: هل تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ باللَّه من معرفة هذه. فيقال: هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها، وبها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف في جهنم؛ فتنادي: يا رب، أين أتباعي

(1) ليس لها أسنان، وفي نسخة: صماء، وهى الداهية.
(2) الشمط في الشعر: اختلاطه بلونين من سواد وبياض، أو بياض شعر الرأس يخالط سواده.

وأشياعي؟ فيقول: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

وعن أبي العلاء، قال: رأيت في النوم عجوزًا كبيرة عليها من كل زينة، والناس عكوف عليها متعجبون، ينظرون إليها، فقلت: من أنت ويلك؟ قالت: أما تعرفني؟ قلت: لا، قالت: أنا الدنيا. فقلت: أعوذ بالله من شرك. قالت: إن أحببت أن تعاذ من شري فأبغض الدرهم.

وقال بعضهم: رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مشوهة الخلقة حدباء.

مثال آخر: واعلم أن أحوالك ثلاث: حال لم تكن فيها شيئًا، وهي قبل أن توجد [1].

وحال أخرى، وهي من ساعة موتك إلى ما لا نهاية له في البقاء السرمدي، فإن لنفسك وجودًا بعد خروجها من بدنك، إما في الجنة أو النار، وهو الخلود الدائم.

وبين هاتين الحالتين حالة متوسطة، وهي أيام حياتك في الدنيا، فانظر إلى مقدار ذلك، وانسبه إلى الحالتين، تعلم أنه أقل من طرفة عين في مقدار عمر الدنيا.

ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يبال كيف انقضت أيامه بها في ضرر وضيق، أو سعة ورفاهية، ولهذا لم يضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة. وقال: "ما لي وللدنيا ؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب، قال تحت شجرة، ثم راح وتركها" [2].

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها.

هذا مثل واضح، فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللحد هو الركن الثاني على آخر القنطرة.

---

(1) ففروا إلى الله، ص 41.

(2) أخرجه أحمد (301/1، رقم 2744)، والطبرانى (327/11، رقم 11898)، وابن حبان (265/14، رقم 6352)، والحاكم (344/4، رقم 7858) وقال : صحيح على شرط البخارى. والبيهقى في شعب الإيمان (312/7 رقم 10417).

ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومن الناس من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها، وكيفما كان فلابد من العبور، فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها وهو يستحث للعبور عليها، فهو في غاية الجهل والحمق.

وقيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربًا، ازداد عطشًا حتى يقتله.

وكان بعض السلف يقول لأصحابه: انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

وقد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقًا، فاعتقدوا أن الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب.

وقد وضع الله في الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها، فكلما تاقت منعوها، ظنًا منهم أن هذا هو الزهد المراد، وجهلاً بحقوق النفس، وعلى هذا أكثر المتزهدين، وإنما فعلوا ذلك لقلة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول:

اعلم: أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان، فيها حظ، وهي الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح، وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر إلى الله عز وجل، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، كما لا تبقى الناقة في طريق الحج إلا بما يصلحها، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشره وقع في الذم، فإنه ليس للشره في تناول الدنيا وجه؛ لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى، ويشغل عن طلب الآخرة فيفوت المقصود، ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة، ويرد لها الماء، ويغير عليها ألوان الثياب، وينسى أن الرفقة قد سارت، فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته.

ولا وجه أيضًا للتقصير في تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها، فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يأخذ

من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها.

وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالوذج.

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس.

وينبغي أن يتلمح حظ النفس في المشتهى، فإن كان في حظها حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشطها للخير، فلا يمنعها منه، وإن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون. اهـ من"مختصر منهاج القاصدين".

فائدة:

قال ابن السماك الواعظ: هب الدنيا في يديك، ومثلها ضُم إليك، والمشرق والمغرب جاءا إليك، فجاءك الموت ماذا في يديك؟!

ومن المواقف:

انطلقوا حتى أريكم الدنيا:

وكان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجي ء بهم إلى المزبلة فيقول انظروا إلى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صار إلى ما ترون[1].

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه [2].

(1) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة،، 1645/1.
(2) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 393/2.

ماذا تفعل الدنيا بأهلها!؟:

قال حدثني سفيان بن عيينة قال بينا أنا ومسعر بن كدام مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء متكئة على عصا يصفق أحد لَحْيَيْها على الآخر فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه فرد عليها السلام وسألها فأحفى المسألة ثم انصرفت فقال إسماعيل لا إله إلا الله ماذا تفعل الدنيا بأهلها ثم أقبل علينا فقال أتعرفان هذه قلنا لا والله ومن هي قال هذه بَغُومُ بن أبي ربيعة التي يقول فيها

(حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وأسماءُ ⁝ وعِيصٌ يَكُنُّنا وخَلاَءُ)

انظرا كيف صارت وما كان بمكة امرأة أجمل منها قال فقال له مسعر لا ورب هذه البنية ما أرى أنه كان عند هذه خير قط [1].

من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه:

قال سفيان بن عيينة: سمعت أبا حازم يقول: أوحى الله عز وجل إلى الدنيا من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه.

ما حملك على الخروج من الدنيا؟:

إبراهيم بن أدهم قال لقيت رجلا بالإسكندرية يقال له أسلم بن زيد الجهني فقال من أنت يا غلام فقلت شاب من أهل خراسان قال ما حملك على الخروج من الدنيا فقلت زهدا فيها ورجاء ثواب الله تعالى فقال إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال له رجل ممن كان معه وأي شيء الصبر فقال إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس قال قلت ثم مه قال إذا كان محتملا للمكاره أورث الله عزوجل قلبه نورا قلت فماذا النور قال سراج يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه ثم قال يا غلام إياك إذا صحبت الأخيار وجاريت الأبرار أن تغضبهم عليك لأن الله تعالى يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم وذلك أن الحكماء هم العلماء هم الراضون عن الله إذا سخط الناس يا غلام احفظ عني واعقل واحتمل ولا تعجل ولاتعجل إياك والبخل قلت وما البخل قال أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 174/1.

الرجل ضنينا بماله وأما عند أهل الآخرة فهو الذي يضن بنفسه عن الله ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقى وأعطي السكينة والوقار والحلم الراجح والعقل الكامل [1].

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!:

قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة؛ فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة! فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟![2].

ذهبوا وبقيت أعمالهم:

عن مجاهد قال مررت مع ابن عمر على خربة فقال يا مجاهد ناد يا خربة ما فعل أهلك أين أهلك قال فناديت فقال ابن عمر ذهبوا وبقيت أعمالهم.

إني لا أحب الظلم:

- عن مجاهد قال مر نوح عليه السلام بالأسد فضربه برجله فخمشه فبات ساهرا فشكى نوح ذلك الى الله عز وجل فأوحى الله تعالى إليه إني لا أحب الظلم.

وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا:

- قال مجاهد ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه أتاه ملك الموت فقال أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها:

- عن مجاهد قال ما من يوم ينقضي من الدنيا إلا قال ذلك اليوم الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها ثم يطوي عليه فيختم الى يوم القيامة حتى

(1) ابن الجوزي، صفة الصفة، 4 / 334.
(2) مختصر صفة الصفوة، 13/1.

يكون الله هو الذي يفض خاتمه رواه المعافى بن عمران عن طلحة بن عمرو فقال عن قيس بن سعد عن مجاهد وهو الصواب.

والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان:

قال مالك بن دينار: مررت على قصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ⁝ ولا يذهب بساكنك الزمان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب، وثم عجوز فقالت: يا عبد الله قد والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان.

أبو العتاهية:

لئن كنت بالدنيا بصيراً فإنما ⁝ بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ⁝ فما فاته منها فليس بضائر [1]

ثم رفعناها بعد، فما لقينا منها؟:

قال مالك بن دينار: لما بعث الله عيسى بن مريم كب الدنيا على وجهها، ثم رفعها الناس حتى بعث الله تعالى محمداً فكب الدنيا على وجهها، ثم رفعناها بعد، فما لقينا منها؟[2].

أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً؟!:

كان رجل من الأغنياء بالبصرة وكانت له ابنة نفيسة فائقة الجمال، فقال لها أبوها: قد خطبك بنو هاشم والعرب والموالي فأبيتِ! أراكِ تريدين مالك ابن دينار وأصحابه! فقالت: هو والله غايتي! فقال الأب لأخ له: إئتِ مالك ابن دينار فأخبره بمكان ابنتي وهواها له؛ فأتاه فقال له: فلان يقرئك السلام ويقول لك: إنك تعلم أني أكثر أهل هذه المدينة مالاً وأفشاهم ضيعة، ولي ابنة نفيسة وقد هويتك فشأنك وهي؛ فقال مالك للرجل: عجباً لك يا

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 /44.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 /88.

فلان، أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً[1].

ولم تؤْوِ الضالة ولم تجبر الكسير؟؟ ولم ترعها حق رعايتها!:

قال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب: يجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي شربت اللبن وأكلت اللحم ولم تؤْوِ الضالة ولم تجبر الكسير؟؟ ولم ترعها حق رعايتها! اليوم أنتقم لهم منك[2].

لأنَّ مادحَهم مفَرِّطٌ وذامَّهم مفْرِطٌ:

قال مالكٌ بن دينار: منذُ عرفتُ الناسَ لم أفرحْ بمِدْحتِهم ولا أكرهُ مَذَمَّتَهم، قيلَ: ولِمَ ذلك؟ قالَ: لأنَّ مادحَهم مفَرِّطٌ وذامَّهم مفْرِطٌ.

يا قارئ أنت قارئ؟!![3].

قال مالك بن دينار: من تباعد من زهرة الحياة الدنيا فذلك الغالب لهواه؛ ومن فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه؛ يا قارئ أنت قارئ؟!! ينبغي للقارئ أن يكون عليه دُرّاعة صوف وعصا راعٍ، يفر من الله إلى الله عز وجل، ويحوش العباد على الله تعالى[4].

فعلى الدنيا العفاء:

جعفر عن مالك بن دينار قال خرج سليمان بن داود عليه السلام في موكبه فمر ببلبل على غصن شوك يصفر ويضرب بذنبه فقال أتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنه يقول قد أصبت اليوم نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء[5].

على القلب ثلاثة أغطية:

عن إبراهيم قال: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذّب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب بحبط العمل، قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، 365/2.
(2) أبو نعيم، حلية الأولياء، 375/2.
(3) أبو نعيم، حلية الأولياء، 372/2.
(4) أبو نعيم، حلية الأولياء، 364/2.
(5) صفةالصفوة، 287/3.

بما آتاكم[1].

أيحسن بالحرّ المريد أن يتذللّ للعبيد:

وعنه قال: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: أيحسن بالحرّ المريد أن يتذللّ للعبيد وهو يجد عند مولاه كلّ ما يريد[2].

فلم أعرف قبر الأسود من قبره:

قال مالك بن دينار: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة، فطعن في قدمه فمات فأخرجناه إلى القبر، فلما صرنا إلى الجبان إذا نحن بسودان يحملون صاحب لهم إلى القبر، فدفناه ودفنوا صاحبهم، فعدت قبل السبوع فلم أعرف قبر الأسود من قبره. وعلى هذا قول الشاعر:

ولقد مررت على القبور فما ∴ ميزت بين العبد والمولى[3]

أبشرْ بشرٍ:

كان لمالك بن دينار جار كما شاء الله أن يكون، وكان إذا استقبله مالك يقول: يا أبا فلان إن كان المال الذي قد جمعته من حلال فقد آن لك أن تقتصر عليه، وإن كان من حرام فقد آن لك أن تردها على أربابها فكان من جوابه لمالك: يا مالك إنا ندق الدنيا دقاً دقاً، فقال مالك: إذاً والله يأتيك الموت فيدقك دقاً دقاً، فضرب الدهر ضرباته ما ضرب فمرض ذلك الرجل فدخل عليه مالك بن دينار فقال له: كيف تجدك؟ قال الرجل: بشر، فقال مالك: وكيف ذاك؟ قال الرجل: أتاني آت من ربي فقال: أبشرْ بشرٍ[4].

لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟:

حدث إبراهيم بن بشار الصوفي الخراساني خادم إبراهيم بن أدهم،

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 58/10.
(2) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. 1407هـ - 1987م، 10 / 49 - 58.
(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 2 / 64.
(4) الزهد الكبير، ص173.

قال: وقف رجل مرة على إبراهيم بن أدهم، فقال: يا أبا إسحاق، لم حجبت القلوب عن الله عز وجل ؟ قال: لأنها أحبت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، فتركت العمل لدار فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ، خالد مخلد، في ملك سرمد لا نهاية له ولا انقطاع [1].

ما لك حيلة؟:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أمر اليوم أعمل في الطين. فقال: يا بن بشار، إنك طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك، وما كنت فيه قد نقلت عنه. يا بن بشار، كأنك لم تر حريصا محروما، ولا ذا فاقة مرزوقا. ثم قال لي: ما لك حيلة؟ قلت: نعم، لي عند البقال دانق، فقال: عز علي، تملك دانقا وتطلب العمل [2].

أخرجوه فقد استقتل!:

وَقَال أبو صالح الفراء، عن شعيب بن حرب: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض هؤلاء الولاة.فقال له: من أين معيشتك؟ قال إبراهيم:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا • فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

قال: فقال الوالي: أخرجوه فقد استقتل! [3].

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا:

عن خلف بن تميم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا • ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين[4]

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر 1420هـ - 2000م، 1 / 55.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، 1 / 62.

(3) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، 2 / 36.

(4) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، 2 / 36.

فسارع إلى أمر الله:

وكنت ماراً مع إبراهيم، فأتينا على قبر مسنَّم، فترحّم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرق في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها. بلغني أنه سرّ ذات يوم بشيء ونام، فرأى رجلاً بيده كتاب، فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرنّ، فإننا على باق، ولا تغترَّنّ بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم، لولا أنه عديم، وهو ملك، لولا أنّ بعده هلك، وفرح وسرور، لولا أنه لهو وغرور وهو يوم لو كان يوثق له بغدٍ، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال: {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]، فانتبه فزعاً وقال هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات[1].

لمَّا كُنتُ تضربني كنتُ أسألُ الله لك الجنة:

أتى جُنْدِيٌ إلى بلده فوجد إبراهيم بن أدهم، فسأله: أين العُمران؟ فدلّه على المقبرة، فظن أنه يستهزئ به، فضربهُ حتى أدماهُ، فقيل للجندي: هذا الأمير بن أدهم، فعاد يعتذر إليه، فقال إبراهيمُ: لمَّا كُنتُ تضربني كنتُ أسألُ الله لك الجنة، قال: ولِمَ، قال: لأنك ظلمتني فصبرت حين ضربتني، فخملتُ رجاء الجنة، فكان لك فضلٌ علي فسألت لك الجنة.

يا أخي أما علمت أن الموت أمامك:

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت ابراهيم بن أدهم يقول: مر عبد الله ابن عمر على قوم مجتمعين وعليه بردة حسناء فقال رجل من القوم: إن أنا سلبته بردته فما لي عندكم؟ فجلعوا له شيئاً، فأتاه فقال: يا أبا عبد الرحمن بردتك هذه لي، قال: فقال: إني اشتريتها أمس، قال: قد أعلمتك وأنت في حرج من لبسها، قال: فخلعها ليدفعها إليه، قال: فضحك القوم، فقال: ما لكم؟ فقالوا: هذا الرجل بطال، قال: فالتفت إليه فقال له: يا أخي أما علمت أن الموت أمامك لا تدري متى يأتيك صباحاً أو مساءً ليلاً أو نهاراً ثم القبر

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 442/13.

وهول المطلع ومنكر ونكير وبعد ذلك القيامة، يوم يخسر فيه المبطلون؛ فأبكاهم ومضى[1].

* * *

(1) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1 / 319، 374.